

أخبروني مما تخافوه: لأخبركم من أنتم؟

2019-03-07 د. ميثاق بيات الضيفي

أصبحت الحاجة إلى إضفاء الشرعية على القرارات السياسية الهامة بإرادة الشعوب حافزاً لتطوير تكنولوجيا سياسية ذات تأثير هادف على الوعي الجماعي والعاطفي لأن المجال الفكري أقل قابلية للتلاعب بسبب البنية الطبيعية للحياة العاطفية فيتشكل الموقف تجاه الدافع الإيجابي بصعوبة أكثر، وهذا هو السبب في أن الخوف لم يكن لديه منافسين في أن يصبح هدفاً لإدارة التكنولوجيا السياسية، لأن الحاجة إلى التمييز بين الأخطار الحقيقية والمتخيلة للمجتمعات وغموض ميل إدارة الخوف نفسها بإمكانية حدوث إساءة سياسية لاستخدام المجال العاطفي كمورد حيوي وسياسي يتطلب فهماً فلسفياً سياسياً خاصاً.

هناك أسباب مقنعة للنظر إلى مشاعر الخوف والأمل والإذلال كعوامل مهمة في السياسة الدولية لأن اية واحدة من هذه العواطف يمكن لها أن تكون القوة الدافعة لدول وحضارات بأكملها، وأن الخوف بحد ذاته لا يمكن تعريفه بأنه شرير إنما هو استجابة عاطفية للإدراك الحقيقي أو المبالغ فيه لأقتراب الخطر مما يثير رد فعلًا دفاعي يكشف ويعكس هوية وضعف المجتمع أو الثقافة أو الحضارة، لذا قل لي مما أنت خائف منه؟ وما تفعله للتغلب على خوفك؟ وسأخبرك من أنت سياسياً وثقافياً.. وإن الخوف ليس مؤشراً عاطفياً فحسب بل أيضاً واقع متعدد الأبعاد كالحماية الضرورية من خطر الثقة بالنفس وقوة البقاء في عالم خطير بطبيعته وإحساس بالقلق الإبداعي وغريزة وقائية طبيعية.

أصبح الخوف مفرداً وعالمياً ومتسبباً بمشاكل خطيرة، وإن هاجسه سواء كان حقيقياً أو تم فرضه عمداً شكل عقبة خطيرة أمام التفاعل عالمياً، لانهم عدوه مضلل وخطير بما فيه الكفاية ويرفع المستوى العام للقلق ويؤدي في أفضل الأحوال إلى الابتعاد عن الحق وإلى نتائج عكسية بحيث وصل لأن يكون عاملاً للحياة السياسية واستراتيجية إدارة فعالة مما جعله يراهن على لغة الإرهاب والأمن القومي المرتبط به ولا يمكن لهذا الوضع في الدول إلا أن يؤثر على سياستها، وثقافة الخوف تدفع السلطات إلى انتهاك مبادئها الأخلاقية الخاصة على أساس الاحترام الصارم لخطاب القانون مما يفقدها مركز التفوق الأخلاقي وقوة الجذب. وإذا نظرنا إلى الواقع العربي نرى أن الخوف لدينا ما

هي إله عاطفة منتشرة وعامة وتظهر سياسيا في الخشية من فقدان الفرصة لأداء دور مهم على المسرح الاقليمي والعالمي مما يدفع حكوماتنا لأرتكاب أعمالا تؤثر سلباً على اقتصاد وامن ورفاهية المجتمع وفي المقابل فإن مجتمعاتنا التي تعاني من مخاوف امنية واجتماعية مختلفة بما في ذلك الخوف من الحرب وعدم الاستقرار تعزز وتضفي بخوفها الشرعية على تصرفات السلطات.

يكتسب الخوف معنى جديدا في سياق الخطاب الأمني وإن نطاق المخاوف التي تظهر في خطاب الدولة أو الأمن القومي واسع للغاية لان اجهزة الدول تصنع المخاطر أولاً ثم تعمل كقوة قادرة على حماية الشعوب من مختلف التهديدات ولذا فإن الأشخاص الذين يصددهم الخوف يسهل فهمهم ويوافقون على أي إجراءات حكومية حتى في حدود الحد من حقوقهم وحررياتهم. ويمكن للمرء أن يصادف مفهوم الأمن القومي لأجل إضفاء الشرعية على علاقات الهيمنة السائدة لإن الدول تحتاج إلى عدو ليبرر إعلان حالة الطوارئ التي تضفي الشرعية على اعتقال المواطنين دون محاكمة أو قتل أو عمليات عسكرية بدون سيطرة أو مسؤولية أو سرية أو رقابة أو احتكار لجمع المعلومات ونشرها وتوقف المشاركة المدنية وتطلب ولاء مطلق لها.

معظم الدول تتبنى الخوف على اساس محاربة سياسة الإرهاب غير إن الخوف من الإرهاب مشكلة أكبر من الإرهاب نفسه فهو تهديد أقل مما كنا نسمع عنه وبما أن الدولة تؤسس الرقابة وتحتكر جمع المعلومات ونشرها فإن جزءاً منها فقط يتم تصفيته وتحميلها بمعاني معينة، ولدى إثارة المخاوف من تهديد إرهابي يتوقع الناس اتخاذ تدابير أمنية أكبر مما يتطلبه الحس السليم فيتم إضفاء الشرعية على مخاوفهم من خلال زيادة الإنفاق على الدفاع والمجمع الصناعي العسكري، ولذلك سيبدو خطاب الأمن القومي ليس إلا جزء من مجموعة ضخمة من إدارة المخاوف وأن سياسة الخوف ليست تهديداً بسيطاً لعقوبات عقابية أو اختراع أعداء لا وجود لهم من أجل الحفاظ على السلطة فقط بل تتضمن جهوداً مكثفة من قبل المشاركين وتعاون ومساعدة المراقبين الذين لا يفعلون شيئاً لمقاومة الضغط القمعي للخوف فتتمحور سياسته بمجموعة من التقنيات المتلاعبة لتصبح إدارته قوية للغاية مؤديا الإعلام فيه دوراً رئيسياً ويبالغ في مواضع الكوارث المريعة وأعمال الإرهاب وحالات الطوارئ التي تثير مخاوف خادعة بين الشعوب، وعبر ذلك نرى ان المخاوف الوهمية هي وسيلة فعالة للغاية يمكننا من خلالها إيقاف الحس السليم وتجاوز الآليات النفسية لأنها لا تبلغ عن خطر حقيقي إنما عن خطر خيالي في عالم الرموز والواقع الافتراضي وإن تطورها

لفس أمراف فر سلفم انما مدمر للنفس البشرفة ومعطل للآلفاء النفسفة الوقائفة.

ولأجل تعمفم سفاسة الخوف تستخدم الحكومات فمفع أنواع المفاوف الاجتمائفة؁ ولذلك إذا مر الشفص بالفوف الاجتمائف فإنه فربطه ببعض المواقف الاجتمائفة وفكون بذلك أساسا للفشل ففتم تذكر وطف وترجمة الخشفة والسلوك الذي تملفه فله؁ وهذه الخصوففة للمفاوف معروفة ففداً للنخب الحاكمة التي لا تفوت الفرصة لاستخدامها لتحقيق مصالحتها الخاصة المتمثلة بتقففد حرية الأختيار للشعوب؁ وقد رافقت المفاوف الاجتمائفة التاريخ البشري بأكمله ولذا فأن نصفبه فف اللوحة العاطففة من المشاعر العامة فظل دون فقففر مما فزفد من الطلب على إنتاج أنواع مفاولة من الأمن وبهذا ستحتاج الحكومات إضفاء الشرعية على القرارات السفسافة الهامة عبر فجاوز إرادة الشعوب والتي هي الأخرى ترتضي بالتضحفة بجزء من حقوقها وحرفافها مقابل ضمان الأمن المحلي وهذا سفسمح لنا أن نفترض أن استخدام الخوف سفستمر كأداة إدارفة فعالة فف الواقع المرعب.

.....
* الآراء الواردة فف المقال قد لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النباء المنفوماتفة.